بقدرة المؤسسة العسكرية على كبح ثورة الجماهير الفلسطينية؛ اذ «ليس من السهل التصدي للارهاب الجديد، لا سيما ان جميع الحلول القياسية المتوفرة للمؤسسة الأمنية لا تلبّي المشكلات الناجمة عن هذا النوع من الارهاب. وعلى الرغم من ذلك، ليس للارهاب الجديد دلالة عسكرية بعيدة المدى... هو لا يعرّض وجود الدولة وامنها للخطر، لكنه ينجح في ضربنا في المكان الاكثر سهولة، وهو أعصابنا، ولمزيد من الدقة، أعصابنا الضعيفة»(٥٤).

وفي هذا الجوّ المرضي الذي يسود في المناخ الاجتماعي في اسرائيل، ظهرت حالات احتجاج عديدة خارج اطار الاحزاب التقليدية وعمليات الاستقطاب الجارية على قدم وساق. وتشكلت هذه الحالات من أدباء ومدرسين وفنانين وغيرهم، شرعت في الدعوة الى انهاء الاحتلال وايجاد حل سلمي لضمان سلامة الشبان الاسرائيليين والمجتمع الاسرائيلي بشكل عام. ويشار، في هذا الصدد، الى اجتماع عقدته مجموعة من المربّين، بعد ثلاثة شهور على انطلاقة الانتفاضة، بهدف دراسة تأثير «التظاهرات والاضطرابات على الشبان الاسرائيليين، وعلى شبكات التربية والتعليم داخل ' الخط الاخضر ' ». وشارك في هذا الاجتماع مئات الاشخاص الذين اتسمت احاديثهم بالقسوة. ثمّ اصدروا بياناً تحت عنوان «نداء صادر عن اجتماع طوارىء لرجال تربية»، ذكروا فيه: «اننا ندعو المربّين اليهود والعرب الى العمل من أجل الحدّ من التطرف القومي والعنف، والاستمرار في دعم التوجهات التي تطالب بالتعاون والتفاهم بين الشعبين». ودعوا الحكومة الاسرائيلية الى «العمل، وبالاساليب كافة، من اجل الحوار، وذلك بهدف منع استمرارية الاوضاع الحالية التي تعني استمرار السيطرة على شعب آخر، ووضع حدّ للحرب الدائمة، والعمل دون هوادة، وبأقصى سرعة ممكنة، من اجل التوصل الى تسوية سلمية على أساس الحوار والحل الوسط»(٥٥).

وفي المحصلة، رأى عدد من علماء الاجتماع، ومعهم عدد كبير من الاسرائيليين، ان الانتفاضة نجحت، من خلال ضغطها المتواصل، في التأثير في المعنويات «القومية» بشكل عام، وفي خلخلة النسيج الاجتماعي لاسرائيل، وهو الأمر الذي لا بد وان تظهر نتائجه الاكثر وضوحاً في زمن ليس ببعيد.

دور المستوطنين

وكجزء من التركيب الاجتماعي القائم في اسرائيل، لا بدّ لنا من التعرض الى دور المستوطنين، وهم المعنيّون، اكثر من غيرهم، بسبب التأثير المباشر الذي تحدثه الانتفاضة في أوضاعهم، بل بسبب الاشتباك الدائم مع جماهير الشعب الفلسطيني، ممّا يجعلهم الفئة الاكثر قرباً لدراسة مثل هذه التأثيرات.

في البدء، لا بد من التأكيد ان النسيج الاجتماعي السائد في المستوطنات الاسرائيلية هو من اكثر الأنسجة تطرفاً وعنصرية بين فئات المجتمع الاسرائيلي. لذلك، فهو مهيّأ، من الاصل، للاشتباك الدائم مع الفلسطينيين، والدفاع عن اسرائيل. «عندما اقيمت المستوطنات، لأول مرة، بالقرب من مراكز تجمّع السكان العرب، ووسطهم أيضاً، وضعت نظرية كاملة لتحديد الهدف من هذه العملية المعقدة وغالية التكاليف. فسمعنا أن المستوطنات في [الضفة الفلسطينية] وغزة تلعب دوراً استراتيجياً في السيطرة على قمة الجبل، ومحاور الحركة الرئيسية؛ وقيل لنا ان الجيش الاسرائيل يحتاج الى شبكة دفاع اقليمية، يجب نسجها من مستوطنات يهودية، كما كان عليه الحال في عهد ' السور والبرج ' . وأوضحوا لنا ان تواجد اليهود بين القرى العربية سيضاعف من قوة الروح الاسرائيلية. ثمّ جاء الواقع فأوضح ان هذه المستوطنات لا حول لها، ولا قوة، ولا أهمية... فوجود مستوطنات يهودية